

الاستثناء اليمني...



■ خيرالله خيرالله

يجب وضع كل اللوم على الرئيس، أم لا بد من الاعتراف بإيجابيات كثيرة يمكن البناء عليها؟

من الظلم تحميل

علي عبدالله صالح مسؤولية كل المصائب التي حلت باليمن. فهو ترك دستوراً قابلاً للتطوير وترك بلداً صار له حدود مرسومة مع كل جيرانه، بما في ذلك الحدود البحرية مع اريتريا. وترك بلداً فيه أحزاب شبيهة طبيعية. الأهم من ذلك كله، انه ترك الباب مفتوحاً أمام تطوير النظام وإيجاد صيغة ليمن جديد، صيغة تتجاوز أسوار صنعاء، صيغة أقرب ما تكون إلى اللامركزية الموسعة إلى ابعدهم مدى ممكن. ما هو لافت مع تولى عبدربه منصور هادي، ابن أبين، صلاحيات الرئيس وإسناد رئاسة الوزراء لمحمد سالم باسندوة، ابن عدن، انه للمرة الأولى في تاريخ اليمن هناك جنوبيان على رأس هرم السلطة. وهذا سيحد من دون شك من حدة النزعة الانفصالية. أكثر من ذلك، للمرة الأولى منذ ألف عام لا وجود لزيدي على رأس هرم السلطة. رئيس الجمهورية شافعي، كذلك رئيس الوزراء، أي يمن بعد سفر علي عبدالله صالح؟

كل ما يمكن قوله ان اليمن الذي عرفناه لم يعد قائماً. هنا لا يعني ان البلد سيزول، فهو بلد يمتلك حضارة قديمة، لكنه سيأخذ وقتاً طويلاً في عملية البحث عن صيغة جديدة. ربما يحدث ذلك عبر مؤتمر وطني لا يستثنى أحداً، لا علي عبدالله صالح ولا زعماء حاشد ولا زعماء بكيل ولا قادة الجنوب ولا الحوثيين ولا زعماء الأحزاب الصغيرة والكبيرة ولا ممثلين لعدن وتعز وحضرموت ولا يميني الخارج من أصحاب الثروات الضخمة...

ما قد يساعد اليمن في إعادة لملمة وضعه، أن الدول القريبة منه مهتمة بحد أدنى من الاستقرار فيه بما يقبها من تحوله إلى قاعدة لـ«قاعدة» أو صومال أخرى. قد يكون ذلك سبباً كافياً للرهان على الاستثناء اليمني والاستثمار في البحث عن صيغة جديدة تخدم الإقليم الذي اسمه شبه الجزيرة العربية.

صحيفة "الرأي العام" الكويتية

في غياب القدرة على وقفها. بعد العام 1994 ودخول قواته عدن، لوضع حد لمحاولة الانفصال التي قادها علي سالم البيض، لم يتغير علي عبدالله صالح تدريجياً فقط، بل تغيرت أيضاً الحلقة المحيطة به. ربما كان أفضل من لخص تصرفات الرئيس اليمني في تلك الحقبة مستشار له سألته أحدهم يوماً: ما نوع النصائح والاستشارات التي تقدمها للرئيس فأجاب: أنا لا أقدم لا النصائح ولا الاستشارات. أنا مستشار سياسي بلاسم فقط. لا أقول شيئاً إلا إذا طرح عليّ (الرئيس) سؤالاً.

في السنوات العشر الأخيرة، غابت شخصيات يمنية كان لها دورها في تشكيل نوع من الإجماع حول الرئيس الذي راح يزداد مزاجية. من بين هذه الشخصيات يحيى المتوكل الرجل الهادي، الهاشمي ورجل المهمات الصعبة، والشيخ مجاهد أبو شوارب وأخيراً الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر الذي شكل صمام أمان للبلد لفترة طويلة. في المقابل، أحاط الرئيس نفسه بمجموعة من الموظفين لا يستطيعون قول كلمة لا. كانت مهمة هؤلاء حجب الحقائق عنه ومنع وصول الأخبار غير السارة. وهذا أسوأ ما يمكن أن يحصل لحاكم لم يعد هناك من يتذكر اسم رئيس وزرائه، في المقابل، لم يستطع علي عبدالله صالح إعادة مد الجسور مع الجنوبيين الذين تصالح قادتهم في ما بينهم ووضعوا خلفهم أحداث 1986 التي كانت حرباً أهلية قضت على النظام وأدت إلى الوحدة لاحقاً...

تغير علي عبدالله صالح كثيراً، خصوصاً مع تفاقم المشاكل في البلد. من «القاعدة»، إلى الحروب مع الحوثيين، إلى الحراك الجنوبي، إلى شعور أهل تعز والمنطقة المحيطة بها بالغبن وصولاً إلى كل ما له علاقة بالفساد والبنية التحتية المهترئة وعدم القدرة على وضع حد للفقر والنمو السكاني وانتشار التطرف الديني. لم يعد الرئيس اليمني يعرف من أين يبدأ. كبرت العائلة وصارت في كل مكان. لكنه بقي واضعاً يده على كل شيء، وهذا لم يسهل من دون شك مهمة نجله احمد وفريق الشباب المحيط به. كان معظم من ضمهم هذا الفريق من أفضل العناصر المرتبطة بما يدور في العالم...

الأكيد أن صفحة طويت في اليمن. هناك أجيال لم تعرف غير علي عبدالله صالح رئيساً. ولكن هل

الأحمر، رحمه الله، شيخ مشائخ حاشد إلى خصوم لعلي عبدالله صالح. في غياب الشيخ عبدالله، أصبح كل شيء ممكناً خصوصاً في ظل العلاء القائم بين الرئيس اليمني من جهة والشيخ حميد الأحمر ابنز أبناء الشيخ الراحل من جهة أخرى.

لم يقتصر تفكك الحلقة القبلية والمناطقية المحيطة بالرئيس على أبناء الشيخ عبدالله الذين استداروا واجتأهوا وساروا في اتجاه مختلف. بل أن اللواء علي محسن الذي كان لفترة طويلة أحد أعمدة السلطة انشق مع الفرقة المدرعة التي كان يقودها. تكمن أهمية اللواء علي محسن في انه من قرية الرئيس، واسمها بيت الأحمر. في مديرية سنحان وكان تاريخياً من اقرب الناس إليه... إلى أن بدأ نجم العميد احمد علي عبدالله صالح قائد الحرس الجمهوري والقوات الخاصة في الصعود.

من يتمعن في السنوات الطويلة التي أمضاها علي عبدالله صالح في السلطة، يكتشف ان الرجل الذي حكم اليمن طوال ثلاثة وثلاثين عاماً مر بمراحل مختلفة. يمكن اختصار هذه المراحل بثلاث امتدت الأولى بين 1978 و 1990 تاريخ تحقيق الوحدة والثانية بين 1990 و 1994 لدى حصول حرب الانفصال والثالثة بين 1994 وخروج علي عبدالله صالح في مطلع السنة 2012 من صنعاء إلى نيويورك لمتابعة علاجه.

كان هناك ما يجمع بين علي عبدالله صالح الذي أوصل البلد إلى الوحدة وعلي عبدالله صالح الذي سعى إلى أئارة مرحلة ما بعد الوحدة، كشرىك في السلطة الجديدة، وصولاً إلى حرب الانفصال. كان الرجل، حتى العام 1994، يستمع إلى الآخرين ويحيط نفسه بأفضل المستشارين. مكنه ذلك من التصرف بحكمة في معظم الأحيان ومن انتهاز كل الفرص التي أتت له في مقدمتها انقراض الوضع واهتراء النظام في ما يكن يسمى «جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية» التي اضطر حكامها إلى اللجوء إلى الوحدة.

شيء ما حصل بعد انتصار علي عبدالله صالح على خصومه في العام 1994. صحيح انه عمل شخصياً على تفادي تجاوزات لخصيص معينين من منطقتهم في المحافظات الجنوبية، لكن الصحيح أيضاً أن المجال صار مفتوحاً لممارسات اضطر إلى غض الطرف عنها

بالمقارنة مع الثورات العربية الأخرى، يمكن الكلام عن الاستثناء اليمني. رحل الرئيس علي عبدالله صالح عن السلطة، لكنه لم يرحل عن اليمن كما فعل زين العابدين بن علي الذي فر من تونس. ولم يدخل السجن مع أفراد عائلته والمقربين منه كما حصل مع الرئيس حسني مبارك الذي يحاكم مع نجليه ووزير الداخلية في عهده. ولم ينته النهاية البشعة التي انتهت بها معمر القذافي.

الأكيد ان وضعه مختلف عن وضع الرئيس السوري بشار الأسد، فالأخير لن يسعى إلى السير على خطى علي عبدالله صالح، علماً ان الصيغة التي يطرحها العرب عليه شبيهة بتلك التي قبل بها الرئيس اليمني في نهاية المطاف. يعود ذلك إلى ان الرئيس السوري عاجز عن استيعاب حقيقة ما يدور في سورية من جهة وعن أن أفضل عرض يمكن أن يحصل عليه هو ذلك الذي تلا نصه الشيخ حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني رئيس الوزراء وزير الخارجية القطري في ختام الاجتماع الأخير لمجلس جامعة الدول العربية في القاهرة.

سيتوجب على علي عبدالله صالح تمضية ثلاثة أسابيع في مستشفى أميركي خاص بمعالجة الحروق. سيسعى بعد ذلك للعودة إلى صنعاء كي يكون في حفلة تنصيب المشير عبدربه منصور هادي رئيساً للجمهورية لمدة سنتين. من كان يتخيل أن عبدربه منصور الضابط المحترف الذي لجأ مع جنوده من الموالين للرئيس علي ناصر محمد إلى الشمال عقب أحداث الثالث عشر من يناير 1986 في عدن، سيصبح يوماً رئيساً للجمهورية؟

أنه الاستثناء اليمني الذي يجعل الذين يترددون باستمرار على اليمن منذ ما يزيد على ربع قرن يتوصلون إلى خلاصة مفادها أنهم كلما تعرفوا على اليمن أكثر، كلما أدر كوا كم أنهم يجهلونه!

إذا أخذنا في الاعتبار كمية الضغوط التي تعرض لها علي عبدالله صالح في الأشهر العشرة الأخيرة، في الأماكن القول انه استطاع الخروج بموجب صفقة يصعب على غيره عقدها. الضغوط كانت عربية ودولية وداخلية في آن، كان عليه للمرة الأولى منذ وصوله إلى الرئاسة في العام 1978 حكم اليمن من خارج المعادلة الذهبية التي اسمها «الشيخ والرئيس». تحول أبناء الشيخ عبدالله بن حسين

المعبر السوري



■ غسان شريل

تدور على أرض سورية معركة مريرة، انطوت صفحة الاستقرار الكامل والصارم، اليوميات السورية تكسر القلب. صور فظيعة تنذر بالمزيد. جنازات وهتافات. رصاص وتظاهرات. ثم جنازات، لافتات واستغاثات. ثم جنازات، وبين جنازتين يسأل العربي عن سورية، وماذا بقي من استقرارها، ومن وحدتها، ومن العلاقات بين مكوناتها، ومن قدرتها على الخروج من دمه.

ما يجري على أرض سورية يتجاوز مستقبل النظام فيها، إنه يتناول حجم أدوار إقليمية ودولية وتوازنات كان يُعتقد بأنها راسخة. يتناول مصير استثمارات سياسية وعسكرية وأمنية طويلة الأمد. لهذا رأينا الأزمة تمتد من شوارع حمص إلى مقاعد مجلس الأمن، ومن شوارع أدلب إلى الكرملين، ومن ساحات حماة إلى مكتب المرشد في إيران.

لنترك جانباً ضراوة المشاهد اليومية، والاستخدام المفرط للقوة، والممارسات الفظة، ورائحة الحرب الأهلية. لقد انزلت سورية إلى معركة كبرى هي معركة حدود الأدوار، وأخطر ما في هذه المعركة هو شعور المنخرطين فيها بصعوبة قبول الخسارة.

قبل معركة القنبلة خاضت إيران معركة الدور، تقدمت في الإقليم، ولعلها حلمت بالقنبلة لحماية هذا الدور وتوقير «بوليصة تأمين» نانمة لنظامها. أغلب الظن أن المسؤولين في إيران لم يتوقعوا اندلاع المعركة في سورية حتى بعد هبوب رياح «الربيع العربي».

وقوف إيران إلى جانب سورية ليس غريباً ولا مفاجئاً. يكفي أن نتذكر أن سورية حمت إيران من اكتمال الطوق العربي حولها إبان حربها مع العراق، وأن العلاقة مع سورية هي التي سهلت لإيران المرابطة على خط التماس اللبناني-الإسرائيلي، وسهلت لها الإمساك بورقة تهديد أمن إسرائيل عبر صواريخ «حزب الله». ما كان لإيران أن تمتلك القدرة على تعطيل محاولات السلام الفلسطينية-الإسرائيلية لولا المعبر السوري.

خسارة إيران سورية ستعني هزيمة مدوية لسياسة ترسخت على مدى عقود. تعني دفع إيران إلى الملعب العراقي وهو مشتعل حالياً، وليس سرا أن العرب السنة هناك يرفضون ما يسمونه «الهيمنة الإيرانية». وقوف «حزب الله» إلى جانب النظام السوري ليس غريباً ولا مفاجئاً. خسارة المعبر السوري تعني للحزب خسارة عمقه الإستراتيجي، وشريان الحياة سياسياً وعسكرياً. الخسارة تعيد الحزب لاعبا محلياً بعد سنوات تحول فيها لاعبا إقليمياً بارزاً. من دون العمق السوري سيكون من الصعب على الحزب حوض حرب جديدة ضد إسرائيل. سيسخر جزء كبيراً مما يسميه القدرة على الردع أو توازن الربح.

روسيا أيضاً لا تستطيع التسليم ببساطة بخسارة موقعها في سورية. المسألة تتخطى وجود قاعدة بحرية روسية على المتوسط. الوجود في سورية هو وجود في النزاع العربي-الإسرائيلي. وجود على مقربة من إسرائيل. من دون وجود في سورية تصبح روسيا بعيدة، ثم إن الجنرالات الروس يتذكرون بالتأكيد أن أسلحة بلادهم هزمت في العراق ثم هزمت في ليبيا.

عبر سورية تعبر روسيا إلى قلب المنطقة، ووجودها هناك يحفظ لها حداً من القدرة على الحضور والممانعة. وعبر سورية يعبر «حزب الله» إلى العراق وإيران. وعبرها تعبر إيران إلى شواطئ المتوسط.

الحاجة إلى المعبر السوري توفر لدمشق حلفاء في المعركة الحالية، لكنها توقعتها في الوقت ذاته في خضم تجاذب إقليمي ودولي على أرضها، لا تملك مفاتيح تقرير مساره ومصيره. ليس سهلاً الحديث عن صفقة توزع الأرباح والخسائر والضمانات والضمانات. حتى الساعة يمكن القول إن القدرة على الغرق في الأزمة تفوق القدرة على الخروج منها. هذا يصدق على المبارزة الإقليمية والدولية، وعلى المواجهة الداخلية أيضاً. إنها معركة كبرى قد تفوق قدرة سورية على الاحتمال. معركة بهذه الشراسة الداخلية والتجاذب الإقليمي والدولي حولها، قد تؤدي إلى تفجير سورية وإغراقها في حرب أهلية مديدة.

«لا بد من صنعاء»...



■ رشيد حسن

وفي هذا الصدد، استوقفتنا واستوقفت آخرين كلمة العقيد صالح، وهو يعتذر لشعبه، ويطلب الصفح، ويدعو للمصالحة... ونسأل ألم يتأخر هذا الاعتذار عما كاملاً؟

ونتساءل.. ترى لو قام هذا الحاكم، ومنذ الأسابيع الأولى للثورة بالاستجابة لمطالب الثوار، وحققهم الذي لا ينازع في الحرية والكرامة والديمقراطية وتداول السلطة... ألم يجنب حينها شعبه التضحيات الجسام، وآلاف الضحايا، وخسائر بمليارات الدولارات، مني بها الاقتصاد الوطني... ويختصر طريق الألام والمعاناة.. طريق الجلجلة...!!

لو استمع علي عبدالله صالح لنداء الشعب اليمني ومطالبه العادلة، لسجل سابقة في النظام العربي، تصبح مثلاً يحتذى، كما فعل سوار الذهب حينما تنازل عن الرئاسة في السودان الشقيق.. ولكنه أصر على أن يصم أذنيه، ويعصب عينيه، رافضاً أن يستجيب لمطالب الشعب اليمني المشروعة.. في الحرية والكرامة والديمقراطية، وتداول السلطة، والعدالة والمساواة، ومحاسبة الفاسدين.

باختصار..... انتصرت الثورة اليمنية المجيدة، وانجلي ليل الظلم عن جبال صنعاء وتعز والحديدة والبيضاء وحجة، وعن سواحل عدن وحضرموت ولحج، وها هو الشعب اليمني العظيم.. يردد حذاء شاعره القديم «لا بد من صنعاء وان طال السفر».

صحيفة "الدستور" الأردنية

وأخيراً.. انتصرت الثورة اليمنية المباركة، ورحل صالح، كما رحل مبارك وابن علي والقذافي.. وان اختلفت المصائر، وسيلحقهم آخرون، ما دام «تسونامي» الربيع العربي قد وصلت تداعياتها إلى كافة الاقطار العربية، من الماء إلى الماء.

كلام كثير تفرضه الثورة وتداعياتها، ويفرضه تدخل الدول الخليجية وواشنطن، لاحتواء هذه الثورة، وضمان بقاء النظام الموالي.. بعد ابعاد رأسه...!! لقد صمدت الثورة اليمنية عما كاملاً، لم تتراجع عن أهدافها، رغم حجم المؤامرة، وجسامته الخسائر.. أن على صعيد الشهداء، أو على صعيد الاقتصاد، وأثبتت أنها قادرة على تحقيق كامل أهدافها وأهمها: خلع النظام من جذوره، كما خلعت الثورة التونسية، وتقديم المتهمين بجرائم القتل والبطحية والحرامية والفاستين إلى القضاء العادل، ليقول كلمته جزءاً وفاقاً.

الثورة ستكمل المشوار، بعد أن قطعت رأس الأفعى، وها هي تجدد نفسها يومياً، وتدهش العالم كله بالانتفاضات والاعتصامات المتواصلة، التي تقوم بها قطاعات واسعة، احتجاجاً على المسؤولين الفاسدين، والمطالبة بطردهم، وهو ما تحقق.. إذ بدأت بمديرية التوجيه المعنوي، وتمكن أفرادها من طرد مديرها المحسوب على النظام، وها هم جنود سلاح الطيران يتظاهرون مطالبين بطرد قائد هذا السلاح، وقد اصطفوا على مدرجات المطارات في اليوم الذي غادر فيه صالح اليمن، ليرى بعينه أن أبناء اليمن أمناً على ثورتهم، ولم تنطل عليهم أساليب الثعلب، وسائل الاحتواء الناعم، التي حاولت المبادرة الخليجية بواسطتها الالتفاف على الثورة وترويضها، ودفنها من ثم في بقايا سد مأرب.